

# أثر التجارة والرحلة في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب

دكتور / محمد رشيد الفيل

تمثل الملاحظة الشخصية أهم مصدر من مصادر المعرفة الجغرافية إلى جانب المصادر الأخرى ، كالاتحاد على تراث السلف والحساب الرياضى والرصد الفلكى .. الخ ، وكنتيجة لاتساع الدولة الإسلامية غدت المعطيات الجغرافية لدى العرب أعظم بكثير مما كانت لدى أسلافهم من اليونان والرومان . ولقد امتدت معرفتهم الجغرافية إلى جزر اليابان ( واو واق ) وكوريا ( سيلأ أو شيلأ ) شرقا ومعظم آسيا بما فيها كتلة انجارا وجزر الهند الشرقية . أما فى أفريقيا فقد عرفوا جيدا شمال أفريقيا حتى خط عرض ١٠° شمالا ، كما تاجروا مع الساحل الشرقى لأفريقيا حتى موزمبيق ( سفالة ) ، بل وصلوا حتى التاتال جنوبا ويعتقد البعض أنهم داروا حول رأس الرجاء الصالح منذ القرن العاشر الميلادى<sup>(١)</sup> . ولقد أرفق الأميرال البرتغالى الفونسو البوكيرك فى تقريره لملك البرتغال عام ١٥١٢ خارطة بحرية كبيرة لملاح من جاوة موضحاً عليها رأس الرجاء الصالح والبرتغال والبحر الأحمر والخليج العربى وجزائر الملوك وممالك ملاحية إلى الصين وجزر فرموزا<sup>(٢)</sup> كما عرفوا جزر كنارى ( الخالدات والسعادات ) وفى أوروبا عرفوا جنوب أوروبا ووسطها كما عرفوا بريطانيا وإيرلندة والدول الإسكندنافية ومعظم روسيا . ويعتقد البعض أنهم عرفوا أمريكا قبل كريستوفر كولبس بخمسة قرون على الأقل<sup>(٤)</sup> .

وهناك عوامل كثيرة ساعدت على ظهور وتقدم الأدب الجغرافى عند العرب وهى :

- ١ - اتساع أراضى الخلافة الإسلامية فقد امتدت الفتوحات الإسلامية من حدود الصين الغربية شرقا حتى المحيط الأطلسى غربا وجميع جزر البحر المتوسط وأسبانيا .. الخ .
  - ٢ - الدين الإسلامى ( الحج ) .
  - ٣ - الرحلة فى طلب العلم .
  - ٤ - التجارة .
  - ٥ - استعداد العرب الفطرى وواقع حياتهم فى جزيرتهم .
  - ٦ - حب الاستطلاع والرحلات من أجل البحث الجغرافى وغيره من العلوم .
  - ٧ - الاتصال بالثقافات الأجنبية ( عامل الترجمة ) .
- فى الأعوام الأولى للخلافة عندما بدأت الفتوحات الإسلامية ، تلك الفتوحات التى

حلت العرب إلى حدود الصين شرقا والمحيط الأطلسي غربا هذا من غير شك ساعد على اتساع أفقهم الجغرافي نتيجة للملاحظة المباشرة والتجربة الواقعية ، ولقد تجمعت لديهم معلومات جغرافية قيمة ظلت مدة طويلة مقتصرة على الأوساط العسكرية والإدارية ومن ثم خرجت إلى الوسط العلمى . وقد تطلبت الدولة معرفة الطرق والمسافات ومناطق الاستيطان والإمكانات الاقتصادية .. الخ . وكانت المعرفة الجغرافية مقتصرة في الفترة الأولى على الأماكن المقدسة أو ذات الصلة بحياة الرسول ( ص ) كمكة والمدينة وبيت المقدس .. ويقترن باسم الحجاج أول ذكر معروف لدينا عن الخرائط عند العرب<sup>(٥)</sup> .

وكانت أول محاولة في الجغرافية الإدارية والاقتصادية عام ١٠٠ هـ ( ٧١٩ م )<sup>(٦)</sup> وبتطور الفتوحات الإسلامية ، واتساع رقعة الإمبراطورية تطلب تلك العناية بوصف الأقاليم ودراسة ثروتها وقدرتها على دفع الضرائب ومن هنا كانت انطلاقة الجغرافية الإدارية والسياسية كما تبدو واضحة في المسالك والممالك الذى وضعه ابن خردادبه<sup>(٧)</sup> ، وفي كتاب الخراج لقدامة بن جعفر. وبدأت العناية بالجغرافية تتبلور حول دراسة الإقليم والمناطق دراسة وافية ، وصارت المعرفة الجغرافية هي الغاية . ويمكن القول بأن القرن الرابع الهجرى يمثل دور النضج في الجغرافية العربية ، وكان التأليف الجغرافى قد أخذ الاتجاهات التالية :

١ - العناية بأقطار العالم الإسلامى كما عند البلخى والإصطخرى وابن حوقل والمقدسى .. الخ

٢ - التخصص في قطر واحد كاهمدانى في « صفة جزيرة العرب » والبيرونى في « الهند » .

٣ - وضع المعاجم الجغرافية والتي بدأت في القرن الخامس الهجرى « كمعجم ما استعجم للبكرى » ومعجم البلدان لياقوت الحموى .

٤ - وضع الموسوعات الجغرافية التى بلغت ذروتها في القرن الثامن للهجرة كنهاية الأرب « للنويرى » وصبح الأعشى « للقلقشندي » ومسالك الأبصار « لابن فضل الله العمرى » . ولقد طرق العرب جميع الفروع الجغرافية الوصفية والطبيعية والسياسية والإدارية والاقتصادية والتاريخية والمدن والسكان .. الخ .

وكان إنتاج الجغرافيين العرب غزيرا فيرى كراتشكوفسكى أن الأدب الجغرافى العربى يمثل المصدر الأساسى الموثوق ، ليس لدراسة ماضى العالم الإسلامى فحسب ، بل يدنا

بمعلومات من الدرجة الأولى عن جميع البلاد التى بلغها العرب أو التى تجمعت لديهم معلومات عنها .

وتعتبر الرحلة والتجارة أهم العوامل التى أدت إلى تطور علم الجغرافية والوصول به إلى أعلى المستويات .

## ١ - الرحلة :

كانت الرحلة عنصراً قوياً فى حياة المجتمع الإسلامى حيث أوصى القرآن الكريم المسلمين بالسعى فى طلب الرزق « فامشوا فى منابكها وكلوا من رزقه »<sup>(٨)</sup> . وكانت الرحلة تتم لأسباب وغايات متعددة :

أ - رحلة الناس لزيارة مهبط الوحى والأماكن المقدسة .

ب - رحلة الناس فى طلب العلم .

ج - رحلة الناس فى سبيل التجارة

د - رحلة الرسل المترددين بين الملوك والأمراء .

هـ - رحلة المغامرين وجوابى الآفاق .

وكان لاتساع شبكة طرق المواصلات والأمن السائد أثره على أن يشدوا الرحال ويطوفوا فى البلدان ، وكانوا يشعرون فى أى بلد يحلون فيه كأنهم فى بلدهم ، فالتجانس فى العقيدة والدين بين أبناء تلك البلدان وتعلم اللغة العربية كان خير زاد يمكن أن يتزود به المسافر سواء لأداء فريضة الحج أو التجارة ... الخ .

فرض الله على المسلمين حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً فأخذ المسلمون يلبنون داعى الله ويفدون من كل جهة من جهات العالم الإسلامى المترامى الأطراف ، وكان من الطبيعى أن يقضى الحاج أشهراً بل سنوات فى طريقه إلى مكة والمدينة ، وفى هذا الطريق الطويل سوف يتزود بالمعلومات الجغرافية والبشرية فى كل منطقة يمر بها أو كل جماعة يصادفها ، وحين تصل وفود الحجاج إلى بيت الله الحرام سيكون هنالك تبادل فى المعلومات والآراء سواء كانت جغرافية أم أدبية أم اقتصادية وجوانب أخرى من المعرفة ، كما ستعقد هنالك ندوات علمية تطرح فيها قضايا العالم الإسلامى ، ولاشك بأن ذلك سيجرى الشوق عند الكثيرين للسفر إلى بلاد الإسلام ، وبالفعل فإن كثيراً من الرحلات الجغرافية الطويلة بدأت بالحج كرحلة ابن بطوطة وابن سعيد المغربى وغيرهما كثيرون .

أما الرحلة في طلب العلم فترتبط بالدين والدنيا معا فقد روى عن الرسول ( ص ) « اطلبوا العلم ولو في الصين » كما حث الإسلام على طلب العلم وميز العلماء على غيرهم « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »<sup>(٩)</sup> وميز مداد العلماء على دماء الشهداء ، وهكذا فقد غدا الارتحال في طلب العلم منذ القرن الأول للهجرة أشبه بالضرورة اللازمة لتكملة الدورة الدراسية ، ففى طلب العلم رحل الناس من الأندلس إلى بخارى ومن بغداد إلى قرطبة ، وهنا نشير إلى الفقيه الأندلسى أسعد الخير الأنصارى المتوفى عام ٥٤١ هـ ( ١١٤٦ م ) الذى نعت بالصينى لارتحاله إليها طلبا للعلم ، كما أورد مؤرخ الأندلس المقرئ اساء ( ٢٨٠ ) شخصا رحلوا إلى المشرق في طلب العلم وحده وليس لغرض التجارة أو الحج .

وكان لاتساع الامبراطورية الإسلامية أثره على إرسال البعث والسفارات إلى الخارج كسفارة ابن فضلان . الذى أوفده الخليفة المقتدر في صفر سنة ٣٠٩ هـ ( يونيو سنة ٩٢١ م ) من قبله إلى ملك البلغار حتى وصل في ١٣ محرم سنة ٣١٠ هـ ( ١١ مايو سنة ٩٢٢ م ) . وفى طريق عودته إلى بغداد دون وصفاً لرحلته في كتاب لعله أول ما يعول عليه بالنسبة لمنطقة لم يكن يعلم عنها حتى ذلك الوقت إلا القليل ، ولقد لقيت كتاباته عن إقليم الفلجا وقزوين تقديرا عظيما . كذلك رحلة أبى دلف مسعر بن مهلهل الينبعى الخزرى إلى الصين . أوفده إليها الأمير السامانى نصر بن أحمد عام ٩٤٢ م ، وهى من الرحلات التى زودت العرب بمعلومات طبية عن الصين<sup>(١٠)</sup> كذلك بعثة هارون الرشيد إلى شارلمان . ولقد ورد في الحوليات الصينية عدد كبير من البعثات العربية قد وفدت إلى الصين في مختلف الفترات . كما أن حب الاستطلاع والتفتيش عن المغامرة دفع الكثير من المسلمين للانطلاق من مدنهم إلى العالم المتراعى الأطراف ، كرحلة محمد بن فو إلى أمريكا ورحلة أولئك الشباب المغرورين ( أو المغررين ) الذين ورد ذكرهم عند الإدريسي في ( نزهة المشتاق ) حيث ورد خبر أولئك الفتية الذين أبحروا في أواخر القرن العاشر الميلادى ( الرابع الهجرى ) في عهد المنصور بن أبى عامر يتحدثون الظلمات في بحر الظلمات حتى وصلوا إلى جزيرة كثيرة الأغنام والخير ثم جزيرة فيها عمارة وحرث ثم اعتقلوا وأعيدوا معصوبى الأعين من مسافة شهرين عن بلدهم الأول .

وبما شجع المسلمين على مثل هذه الرحلات وحدة العالم الإسلامى أول الأمر ثم بعد التفكك السياسى بقيت الوحدة الدينية واللغوية ، فلا يشعر المسلم المسافر بأنه غريب في أى

بلد إسلامى ؛ لأن المسلمين إخوة - « والمسلم للمسلم كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضا » - كما أن الإيمان بأن مصير المسلم مقدر عليه « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة »<sup>(١١)</sup> . سهل كثيرا من المصاعب التى يحسب لها غير المسلمين ألف حساب .

وهكذا انطلق الجغرافيون العرب وطلاب المعرفة فى أرجاء العالم الإسلامى المترامى الأطراف ، وتمكنوا من أن يجمعوا معلومات جديدة عن ممالك الإسلام ، وذلك عن طريق المشاهدة الشخصية والسؤال والاستقصاء ، مما لم يكن مهينا للجغرافيين السابقين . وكان من أثر هذه الرحلات ظهور القصص البحرى وأدب المغامرات فى وقت مبكر مثلاً فى رحلة التاجر سليمان ( ٨٥١ م ) التى زاد عليها أبو زيد حسن السيرافى فيما بعد وقصة السندباد البحرى ... إلخ . وتحتوى هذه القصص وصفا ممتعا وشيقا لأخبار الملاحين والتجار بين سيراف على الخليج العربى والصين ، وما تعرضوا له من الأهوال فى تلك الرحلات<sup>(١٢)</sup> .

وتمثل الرحلة الوجه المشرق للجغرافية العربية وفى بطونها معين لا ينضب من المعلومات التاريخية والاقتصادية والأنثروبولوجية عن جميع مناطق العالم الإسلامى . ولقد اعتمد كبار الجغرافيين المسلمين على الرحلة فى جمع معلوماتهم ، أو التأكد مما سمعوه أو نقلوه ، فزاروا معظم البلدان التى كتبوا عنها ، وألفوا كتباً تحدثوا فيها عن رحلاتهم فعرفت الناس بأجزاء كثيرة من العالم كانت مجهولة تقريبا قبلهم . وكان دافع أغلب كتاب الرحلات الحج إلى بيت الله الحرام ، وتهيأت لهم الفرص لزيارة ديار الإسلام ، فدون البعض مشاهداتهم ولم يدون البعض الآخر . ولقد وردت فى كتاباتهم المعلومات البشرية والاقتصادية والمعالـم الطبوغرافية للمدن والبلدان التى زاروها ، وتعتبر رحلة ابن جبير أفضل نموذج لهذا النمط من الكتابة الجغرافية ثم رحلة ابن بطوطة ... إلخ . وهكذا نجد بأن الرحلة تمثل المصدر الأساسى للمعلومات الجغرافية ، ولا نكاد نلتقى بأى جغرافى عربى مرموق لم يكن قد اعتمد فى كتاباته اعتمادا أساسيا على رحلاته الشخصية ومما سهل عليهم مهمتهم وحدة العالم الإسلامى سياسيا ودينيا ولغويا . ويقسم الرحالة إلى مجموعتين :

أ - صنف يطوف البلدان لغرض علمى لكى يسجل المعلومات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية تسجيلا أميناً .

ب - صنف يطوف لأغراض سياسية - تجارية - دينية ثم يدون ملاحظاته فى كتاب ،

وينتمى إلى هذا الصنف الرحالة الأدباء : حيث يغلب على هذه الرحلات الطابع الأدبي (١٣) .

وسنذكر في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر بعض الجغرافيين العرب الذين اعتمدوا في جمع معلوماتهم وكتابة مؤلفاتهم على الرحلة بالدرجة الأولى :

١ - يعقوبى : يذكر يعقوبى في كتابه فتوح البلدان ... « سافرت حدث السن واتصلت أسفارى ودام تغربى ، فكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره ... الخ .

وقد تنقل يعقوبى في ديار الإسلام ، وكان حريصا على تدوين ملاحظات عن الجغرافية الطبيعية للمناطق التى مر بها والمجتمعات البشرية التى تعرف عليها . ولقد سافر إلى أرمينية وبلاد فارس والهند والجزيرة العربية وبلاد الشام والمغرب والأندلس . ولقد اعتمد فى وصفه للمناطق التى مر بها على ملاحظاته الخاصة .

٢ - الإصطخرى : زار الجزيرة العربية ومصر والشام والعراق وبلاد ما وراء النهر بالإضافة الى موطنه فارس .

٣ - المسعودى : أمضى المسعودى ربع قرن من عمره فى الرحلات حيث جاب الممالك المختلفة ، ودرس أحوال الشعوب والأمم التى مر بها وتحمل فى سبيل ذلك أذى كبيرا . رحل المسعودى من بغداد سنة ٩٠٥ م ، وظل يتجول بين فارس وكرمان حتى سنة ٩٠٨ م .

ووصل إلى مجاهل الهند وغابات سرنديب ( سيلان أو سيرالانكا ) وعبر البحر العربى ، وبعد تجواله فى العراق رحل إلى فلسطين ومنها إلى القسطنطينية ، ثم رحل جنوبا حتى يقال : إنه وصل منابع النيل حيث يقول : « رأيت النيل ينبع من اثنتى عشرة عينا تصب إلى مجرى هناك كالبطائح ثم يجتمع الماء جاريا حتى يخترق السودان ويصل مدينة أسوان :

ولقد وصل إلى بحر الصين وجزر المحيط الهندى وأذربيجان وجرجان وبلاد ما وراء النهر ووصل إلى سواحل البحر الأسود .

٤ - ابن حوقل : بدأ رحلة طويلة سنة ٩٤٢ م من بغداد وعاد إليها بعد ٢٨ سنة ( أى سنة ٩٧٠ م ) . وخلال رحلته هذه زار جميع أقطار العالم الإسلامى فى الهند إلى أسبانيا ، ووصل بلاد البلغار والحوض الأدنى لنهر الفولجا ، ولقد لقى الإصطخرى سنة ٩٥١ - ٩٥٢ .

ووضع كتابه صورة الأرض الذى يعتبر موسوعة جغرافية ؛ فقد وصف فيه المدن والأنهار والغدران والقفار كما تطرق إلى ثروة البلاد التى زارها .

٥ - المقدسى : عاش فى القرن الرابع للهجرة . كان يهوى الأسفار ولا يبخل بوقت أو جهد أو مال فى سبيل تحقيق هوايته ، ويقال : إنه انفق ١٠,٠٠٠ درهم وذكر فى كتابه : « جبت البلدان والصحراء وقُطِعَتْ على قوافلنا الطرق ، وسجنت فى الحبوس ، وأخذت على أنى جاسوس كما نلت العزة والرفعة ، ودبر قتلى غير مرة ، وكسيت خلع الملوك وأمر لى بالصلات » .

ولقد دفعه حبه للأسفار إلى زيارة جميع أنحاء العالم الإسلامى باستثناء الأندلس والسند وربما سجستان . . ويلوح أنه قد زار صقلية ؛ ونتيجة لرحلاته الواسعة واستفهاماته العديدة المتواصلة ونشاطه الجم ، فقد استطاع المقدسى أن يضع كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » . ولقد زار جزيرة العرب وبلاد الشام ومصر وبلاد المغرب ومعظم أقطار العجم كمنطقة الديلم والجبال ، وخوزستان وفارس وكرمان ... الخ .

٦ - الإدريسى : ولد فى نغرسبنة ودرس فى قرطبة بالأندلس بدأ أسفاره فى سن مبكرة حيث جاب شبه جزيرة أيبيريا وعبر إلى إنجلترا ، وقام بجولات فى المشرق والمغرب وفى عام ١١١٦ م زار آسيا الصغرى ، ولقد تمكن من جمع حصيلة جغرافية طيبة وكتب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » وفى سنة ١١٣٨ عبر البحر إلى صقلية حيث استبقاه روجر الثانى النورماندى . ولقد طلب روجر من الإدريسى أن يقدم له معلومات دقيقة عن جغرافية الدول القريبة من صقلية فقام بسلسلة من الرحلات العلمية جاب فيها معظم أنحاء المنطقة ، ولقد جاب حوض البحر المتوسط شرقه وغربه ونجح فى تحديد منابع النيل والبحيرات الاستوائية . ولم يزر الإدريسى الأقطار الإسلامية البعيدة .

٧ - ناصر خسرو : ولد بجوار بلخ سنة ١٠٠٣ م مر بفلسطين فى طريقه إلى مكة وفى سنة ١٠٤٧ م كان فى بيت المقدس ، ورحل فى فترة سابقة إلى بلاد الهند وعاش فى بلاط السلطان محمود . ودون مذكراته بالفارسية . كتب رحلته سفرنامة ( زاد المسافر ) التى حوت ملاحظات قيمة عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية للبلدان العربية وبصورة خاصة فلسطين ومصر وسوريا والحجاز كما تضمن كتابه مشاهداته فى فارس والعراق ... الخ .

٨ - سليمان التاجر وبزرك بن شهریار الناخذه : سجل ذكريات سليمان التاجر ( القرن



٩ م أو ٣ هـ ) أبو زيد السيرافي . ونشر كتاب برزك بعض المستشرقين تحت اسم « عجائب الهند بره وبحره وجزائره » .

٩ - ابن جبير : توجه إلى الحج في سن مبكرة فغادر إلى سردينيا وصقلية ثم دخل ميناء الإسكندرية ثم غادرها إلى صعيد مصر ، فوصل إلى مرفأ عيذاب على البحر الأحمر وركب سفينة إلى جدة وأخذ قافلة إلى مكة فالمدينة ثم إلى الكوفة وزار بغداد وسامراء والموصل ( في العراق ) ومنها إلى دمشق ، ومن عكا أخذ سفينة إلى صقلية وفي عام ١١٨٥ وصل إلى غرناطة بعد غيبة دامت أكثر من سنتين ثم خرج في رحلته الثانية التي استغرقت عامين . ولقد نجح في رسم صورة واضحة مملوءة بالحياة للمدن التي زارها .

١٠ - أبو حامد الغرناطي : جال في أقطار عديدة في أوروبا وآسيا إضافة إلى البلدان العربية . غادر مسقط رأسه الأندلس عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م وطاف بنواحي المغرب الأقصى ووصل إلى سجلماسة ، ثم انتقل إلى تونس فالإسكندرية ( نزل في سردينية ) ثم إلى القاهرة عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م .

ثم زار دمشق وبغداد عام ٥١٦ هـ / ١١٢٣ م . ثم عبر إلى إيران وزار أردبيل وخوارزم التي دخلها عن طريق بلاد البلغار . كما زار جنوب روسيا إذ عبر البحر الأسود في آسيا الصغرى إلى شبه جزيرة القرم إلى بحر آزوف ، وأتاه شرقاً إلى مصب نهر الفولجا ، ثم انحدر إلى شرق إيران وخوارزم ماراً ببحر خزر- ولقد أقام في مدينة سجسين أوائل ( تقع آثارها بالقرب من استراخان ) كما أقام في بلاد المجر التي يسميها « أنقورية » ويسمى أهلها « الباشفرو » ثم غادر المجر قاصداً سجسين ومربيلاد الصقالبة ووصل خوارزم سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٣ م . ثم قصد الحج ماراً ببخارى ومرو ونيسابور والرى وأصفهان والبصرة وبعد أدائه لفريضة الحج عاد إلى بغداد ثم إلى الموصل فحلب وإلى دمشق التي توفي فيها وهو في ٩٢ من عمره وكتب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب و« المغرب عن بعض عجائب المغرب » .

١١ - الهروي : أبو الحسن علي بن أبي بكر المتوفى سنة ١٢١٤ م ويطلق على رحلته « اسم الإشارات في معرفة الزيارات » ولقد زار مدينة حلب والشام والساحل وبلاد الفرنج وفلسطين وبيت المقدس ومدينة الخليل وديار مصر بأسرها ( الصعيد والبلاد البحرية ) وبلاد الروم وجزيرة ابن عمر وديار بكر والعراق والهند والحرمين الشريفين واليمن وبلاد العجم .

١٢ - على بن سعيد المغربي : قضى الجانب الأكبر من حياته متنقلا في طلب العلم ، حيث انتقل من المحيط الأطلسي غربا إلى الخليج العربي شرقا . حيث زار شمال أفريقيا ومصر ثم الشام فالموصل وبغداد والبصرة ثم رحل إلى حلب ودمشق . واستقر في بلاط أمير تونس سنة ١٢٥٤ وفي عام ١٢٦٧ خرج في رحلته الثانية حيث مر بالإسكندرية ثم إلى حلب ثم أرمينية . وكتب جغرافية ابن سعيد المغربي .

١٣ - محمد العبدري : هو محمد بن علي بن عبد الدار القرشي . كتب رحلته « الرحلة المغربية سنة ١٢٨٩ م » . ولقد زار في رحلته بلاد الشرق الأوسط وتلمسان والجزائر وبجاية وقسطنطينة وتونس وليبيا والإسكندرية والقاهرة واتبع الطريق البري إلى مكة ثم عاد مارا بفلسطين والقاهرة ثم إلى الإسكندرية .

١٤ - ياقوت الحموي : ولد عام ١١٧٩ م . ولقد بدأ حياته العملية بالرحلة والأسفار في تجارة سيده ، وكان يسجل ما يستحق التسجيل في مذكراته . ومن أكثر السفرات التي تركت أثرا في نفسه هي رحلاته العديدة إلى كيش ( قيس ) ، بدأ تحواله مارا بتبريز والموصل والشام ومصر ثم عاد إلى دمشق وحلب وإربيل ( في العراق ) فأورمية وتبريز ومنها إلى إيران الشرقية . ولقد أمضى عامين في نيسابور ثم غادرها إلى هراة وسرخس إلى أن بلغ مرو . ثم هرب إلى خراسان بعد سماعه بغزوات جنكيز خان ، حيث مر بالرى وقزوین وتبريز إلى أن بلغ الموصل . وفي عام ١٢٢٧ سافر إلى فلسطين ومصر ثم رجع إلى حلب حيث قام بتهديب معجمه « معجم ياقوت » وتوفي سنة ١٢٢٩ م .

١٥ - ابن بطوطة : ويمثل آخر جغرافي عالمي من الناحية العملية . أى أنه لم يكن نقالا معتمدا على كتب الغير ، بل كان رحالة بلغ محيط أسفاره ٧٥٠٠٠ ميلاً . ولد في طنجة سنة ١٣٠٤ م . غادر موطنه طنجة وهو في ( ٢٢ ) من عمره بهدف الحج وعاد وعمره قد شارب على الخمسين . ولقد زار في رحلته نجداً والحجاز والبحرين وعمان وحضر موت واليمن والعراق ومصر وبلاد الشام وأقطار المغرب العربي وساحل أفريقيا الشرقية وبلاد فارس وبلاد الأناضول وأواسط آسيا وتركستان والحوض الأدنى لنهر الفولجا والهند وجزر الساحل الجنوبي الغربي للهند وجزر الملديف وسرنديب ( سيلان سيرالانكا ) والملايو وجنوب الصين وربما تقدم إلى شمال الصين . ثم عاد من جولته إلى الأندلس . ولم يكد يستقر في فاس حتى عبر الصحراء الكبرى متجها إلى السودان الغربي ووصل حتى تمبكتو . وكان كما يقول لا يسلك

طريقا سبق له أن سلكه من قبل ، ولهذا فقد استحق عن جدارة لقب أمير الرحالة المسلمين الذى أطلقته عليه جامعة كبرج ، ولقد أملى رحلته « تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » .

هذا بعض من أردنا ذكرهم من الرحالة العرب وهنالك الكثير ممن لم نذكرهم ، وهذا يقدم الدليل على اتساع الأدب الجغرافى العربى الإسلامى وأثر الرحلة فيه .

## ٢ - التجارة :

إن البيئة الصحراوية الحارة لشبه جزيرة العرب دفعت سكانها للعمل منذ القديم في التجارة برا وبحرا . كما أن خلو السماء من الغيوم ، وارتفاع درجة الحرارة نهارا وخلو المنطقة من المعالم الطبيعية دعت إلى السير ليلا والإفادة من حركات النجوم والقمر والرياح وحركة الشمس نهارا واستعمال الأزياج الدقيقة للإفادة منها في حركتهم<sup>(١٤)</sup> وكان لقوة ملاحظة البدو وأثرها على تتبع النجوم جيدا ومعرفة مواقعها حتى إن ٥٠٪ من أسماء النجوم مستعملة بلفظها العربى في اللغات الأجنبية<sup>(١٥)</sup> ولقد لعبت بلاد العرب دورا الوسيط في التبادل التجارى بين الهند وأفريقية والعراق والامبراطورية الرومانية .

ولقد كانت التجارة الحرفة الرئيسية للمجتمعات العربية في مكة والمدينة حيث كانت القاعدة الأساسية لحياتهم الاقتصادية والاجتماعية . وكانت القوافل من الجبال تربط الصحراء مع المناطق الزراعية في الشمال ( الهلال الخصيب ) وفي الجنوب اليمن . « لايلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف »<sup>(١٦)</sup> . صدق الله العظيم . وتكون التجارة العمود الفقرى لحياتهم الاقتصادية ومصدر ثروتهم الرئيسى . ولقد كان الرسول ( ص ) في أول حياته تاجرا وكذلك الخلفاء الراشدون ، وهذا أعطى تركية عظيمة للتجارة كحرفة ولقد تمتع التجار بمركز قيادى في ذلك المجتمع البدائى . وكان الخلفاء المسلمون يشجعون التجارة للأسباب التالية :

- أ - توفير الحاجات الضرورية والتي يعطون في سبيل الحصول عليها بكل سخاء .
- ب - توفير ما يحتاجه الشعب من الغذاء والفواكه والمواد الأولية المختلفة .
- ج - توفير الخامات الأولية للصناعة<sup>(١٧)</sup> .

ولقد اهتموا كثيرا بدراسة المسالك وأبعادها وتعبيد الطرق ، وتأمين السفر عليها حتى إن

فكرة حفر قناة السويس مرت بخاطر هارون الرشيد قبل ١٠٠٠ سنة على الأقل من ظهور هذه الفكرة عند دلبسيس . ويشير الفلقسندي إلى أن المشروع لم ينجح لأن مستوى ماء البحر الأحمر كان أعلى من مستوى ماء البحر المتوسط<sup>(١٨)</sup> .

ومما دفع الناس للتجارة بالإضافة إلى عامل البيئة عوامل كثيرة نذكر منها ما يلي :

أ - هنالك بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تشجع على التجارة .

ب - ساعد الحج إلى مكة العرب والمسلمين على تقدير المسافات ومعرفة المحطات التي تؤدي إلى مكة وقد سُجّلت .

ج - إن الاسلام كدين دفع الإنسان بعيداً عن موطنه في طلب الرزق وذلّل له المصاعب التي يخشاها غيره لإيمانه بأنه سيلاقي ما كتب عليه :

« قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا » ( ٥١ التوبة )

د - ساعد الدين الإسلامي على ربط أواصر الأخوة بين المسلمين كما فرض قراءة القرآن باللغة العربية كل هذا جعل التاجر المسلم لا يشعر بالغربة أينما ذهب .

ولقد شجع الخلفاء التجار إذ أعفوا بضائعهم من الضرائب بل وفي بعض الأحيان قدموا لهم الهدايا . ولقد احتل التجار مراكز مهمة في الدولة كالوزارة وكانوا يحضرون مراسيم تنصيب الخلفاء وكان التجار الأجانب يدعون أيضاً لمثل هذه الحفلات<sup>(١٩)</sup> .

وكوّن التجار ثروات ضخمة حتى إن الحكومة كانت تقترض منهم أيام الحاجة<sup>(٢٠)</sup> .

وعملوا كسفراء في بعض الأحيان<sup>(٢١)</sup> . وكان التجار يتكلمون عدة لغات بالإضافة إلى

العربية<sup>(٢٢)</sup> . وبلغوا من الثروة حداً كبيراً حتى إن أحد تجار البصرة أنفق مليون دينار على

زواج ابنته وآخر في البصرة كان يملك أسطولاً كاملاً . ولقد صادرت الدولة العباسية من

ابن الزياد ١٦ مليون دينار ولم تؤثر على ثروته<sup>(٢٣)</sup> . ولقد تعامل تجار العرب مع زنوج سفالة

( موزمبيق )<sup>(٢٤)</sup> . وسكان ساحل أفريقيا الشرقي<sup>(٢٥)</sup> . ومع سكان النيكوبار ( جزائر الهند

الشرقية ) واتبعوا طريق الإشارات ولس الأيدي في التجارة مع من لا يعرف اللغة

العربية<sup>(٢٦)</sup> . وكانت هنالك مناطق معينة يقف عندها التجار الأجانب أو العرب والمسلمون

تسمى المآصر لتقدير الكمارك المفروضة على بضائعهم ، كما كان التجار العرب يدفعون مثل

هذه الكمارك في المناطق التي يقصدها للتجارة . فقد كان الصينيون يتقاضون ٣٠٪ من

التجارة<sup>(٢٧)</sup> وفي بلغاريا يدفعون ١٠٪<sup>(٢٨)</sup> . أما التجار المسلمون فكانوا يدفعون في ديار



على الطرق المشهورة كطريق الحرير الأعظم ( طريق خراسان ) الذى يبدأ من البحر المتوسط - بغداد همذان - قزوین - الری - نيسابور ، وإلى مرو ثم إلى بخارى وسمرقند والصغد حيث يتفرع إلى فرعين يؤديان إلى الصين ، حاملة التجارة العربية التى وصلت إلى أقطار العالم المعروفة آنذاك . ولقد أفادت الجغرافية من التجارة وبالعكس أفادت التجارة من الجغرافية فقد جاء فى كتاب المسالك والممالك لابن حوقل ما يلى :

« هذا كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك وذكر جباياتها وخراجها وذكر الأنهار الكبار واتصالاتها بشطوط البحار وما على سواحل البحار من المدن والأمصار ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجارة ... الخ » .

كما جعلت التجارة المعطيات الجغرافية أعظم بكثير مما كانت لدى أسلافهم من الأمم الأخرى ، ووضعته تحت تصرفهم فوسعت أفق الجغرافى ، وجعلته يكتب عن مناطق لم يرها بل سمع عنها من التجار والرحالة فيذكر المقدسى فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ما يلى :

« واستعنت على تبيانه بذوى العقول من الناس ومن لم أعرفهم بالغفلة والالتباس عن الكور والأعمال فى الأطراف التى بعدت عنها ، ولم يتعذر لى الوصول إليها » ... الخ . ولقد تكلم الجغرافيون العرب عن مختلف القارات كما سنرى ، ومعظم معلوماتهم تلقوها من رحلاتهم ومن الرحالين والتجار . ولقد أقاموا علاقات تجارية مع معظم مناطق العالم المعروفة آنذاك .

التجارة مع آسيا :

كانت التجارة نشطة مع معظم المناطق الآسيوية قبل الإسلام بمدة طويلة . وكانت القوافل تقطع آسيا من البحر المتوسط حتى بكين . وكانت البواخر تخرع باب المحيط الهندى حتى الجزر اليابانية ، ولقد أقام العرب المسلمون علاقات تجارية قوية مع الدول المعروفة آنذاك .

١ - العلاقات التجارية مع الصين :

كانت التجارة مع الصين نشطة منذ القديم وكانت المستوطنات التجارية الإسلامية قد تركزت فى الصين فى خانقو ( كانتون ) وزيتون وهانج شو ومراكز أخرى<sup>(٣٥)</sup> . واستنادا إلى

ابن بطوطة الذى زار الصين فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى أنه فى كل مدينة من مدن الصين كان للمسلمين حى خاص بهم يسكنون فيه ولهم جوامعهم . أما فى سن كالان - Sin as-Sin فكان للمسلمين جوامعهم وحتى أسواقهم ، وعندما زار ابن بطوطة هذه المدينة نزل فى دار أوحده الدين من سنجان<sup>(٣٦)</sup> . وكان فى كل مدينة فى الصين يوجد قاضٍ ومفت ( شيخ للمسلمين ) يحلون مشاكل المسلمين ، بل ويعملون كوسطاء بين الحكومة والجالية الإسلامية . فى سنة ٦٥١ م أرسل ملك العرب Ta - Shih رسولا إلى البلاط الصينى لأول مرة<sup>(٣٧)</sup> . ويعتقد أن التجار المسلمين كانوا من بين الجماعة الذين دانت لهم مدينة كانتون سنة ٧٠٠ م . وفى عام ٧٥٨ م أصبح بإمكان التجار العرب الاستيلاء على ميناء كانتون بالاتفاق مع بعض الثوار الأهليين وفرضوا شروطهم على حاكم المدينة<sup>(٣٨)</sup> .

واستمروا يفدون على كانتون حتى سنة ٧٩٥ م . وخلال الحكم العباسى قصدت بلاد الصين عدة وفود سجلت فى حوليات عائلة Tang .

وكان العباسيون معروفين عند الصينيين باسم Heb- i- Ta- Shih ( العرب ذو الأردية السوداء ) ثم أطلق عليهم Hui- Hui<sup>(٣٩)</sup> . وخلال القرن التاسع الميلادى كانت هنالك سفرات منتظمة بين الصين والعراق إذ كانت السفن الصينية تصل إلى البصرة التى كانت من المراكز التجارية الإسلامية الرئيسية ، ولكن فى سنة ٨٧٧ - ٨٧٨ م استولى أحد الضباط الصينيين على خانقو وقتل معظم السكان ، ويعتقد أنه قد قتل فى هذه المعركة حوالى ١٢٠,٠٠٠ مسلم ويهودى<sup>(٤٠)</sup> ، وهاجر الباقون إلى كالا Kala على الساحل الغربى لشبه جزيرة الملايو<sup>(٤١)</sup> . ومنذ القرن العاشر أصبحت كالا المركز التجارى الرئيسى فى المحيط الهندى حيث تلتقى السفن الإسلامية والصينية لتتبادل البضائع<sup>(٤٢)</sup> ولقد عملت الحكومة الصينية جهدها لإعادة التجار المسلمين إلى كانتون وزيتون وفى نهاية القرن العاشر نجحت محاولاتها وعادت التجارة المباشرة مع كانتون وزيتون<sup>(٤٣)</sup> . وفى خلال القرن الرابع عشر كان التجار الصينيون يفدون إلى أسواق بغداد والتجار المسلمون يذهبون إلى الصين<sup>(٤٤)</sup> .

وكان الوصول إلى الصين يتم عن الطريق البرى والبحرى . ولكن الطريق البحرى كان أسهل وأحسن حتى إن التجار من سمرقند وبلخ وبخارى يفضلون الطريق البحرى ، ولهذا

كانوا يأتون إلى البصرة ومنها يذهبون إلى الصين بحرا . وكانت السفرة إلى الصين تتم في عامين<sup>(٤٥)</sup> .

كانت السفن تسير من شبه جزيرة العرب إلى جنوب الهند وتستمر السفن مع امتداد الساحل الجنوبي لسرنديب حتى جزر النيكوبار وخليج ملقا .

ثم تدور السفن حول شبه جزيرة الملايو حتى خليج سيام ومنه تمتد الرحلة ما بين ١٠ - ٢٠ يوما حتى جزيرة Polo- Condor حيث يمكن الحصول على الماء العذب وبعد رحلة شهر يصل التجار العرب المسلمون إلى ميناء خانقو جنوب الصين . واستنادا إلى ابن بطوطة فإن الرحلة بعد كاليكوت كانت تتم بسفن صينية<sup>(٤٦)</sup> . أما الطريق البري فيعرف بالطريق الحريري العظيم . ويبدأ من البحر المتوسط إلى بغداد ثم إلى همذان وقزوین والرى ونيسابور - و مرو وبخارى وسمرقند والصغد حيث يتفرع الطريق إلى فرعين يؤديان إلى الصين وكان هنالك طريق آخر يمر بهضبة التبت ولكنه كان طريقاً وعراً واستعمل لتجارة المسك فقط<sup>(٤٧)</sup> .

## ٢ - العلاقات التجارية مع الهند وجنوب شرق آسيا :

كانت الهند تجذب نحوها التجار العرب ولذلك كانت هنالك جاليات عربية تستوطن الساحل الهندي قبل الفتح الإسلامي . وفي سنة ٨٩ هـ / ٧١٢ م تم فتح السند من قبل محمد بن القاسم الثقفي ، فانتشر العرب برا وبحرا في جنوب شرق آسيا والمحيط الهندي وكونوا جاليات في جاوة ، كما تزوجوا من نساء محليات<sup>(٤٨)</sup> . وكان الوصول إلى الهند سهلا سواء بالبر أو بالبحر . وكان الطريق البري يسير مع طريق خراسان حتى كابل ثم ينحدر نحو البنجاب<sup>(٤٩)</sup> .

أما الطريق البحري فيسير إلى ديبيل ، إلى مدخل نهر مهران ( السند ) ومن مهران إلى Bakim أول محطة في ( الهند )<sup>(٥٠)</sup> . وكانت مراكز التجارة الكبرى ديبيل ( على نهر السند )<sup>(٥١)</sup> ، والمنصورة على نهر السند<sup>(٥٢)</sup> . وملتان عاصمة السند<sup>(٥٣)</sup> . واستنادا إلى المسعودي كان هنالك ١٠,٠٠٠ رجل من بغداد والبصرة وعمان وسيراف يعيشون في صيمور<sup>(٥٤)</sup> . إلى جانب التجارة مع الهند والصين كانت العلاقات التجارية نشطة مع سرنديب ( سيرالانكا ) وكانت لهم جالية فيها ، ويعتقد أن العرب وصلوا سرنديب قبل الإسلام<sup>(٥٥)</sup> . وكان للعرب جاليات عربية في الملبار تنتشر بكثافة على الساحل في تاريخ مبكر<sup>(٥٦)</sup> . وكانت



أهم مدن الملبار هي Hili <sup>(٥٧)</sup> ، وكاليكوت وكاولام Kawlam أو Quilon وقد اندثرت كلتا المدينتين في القرن السادس عشر الميلادي <sup>(٥٨)</sup> . كما تاجر العرب المسلمون مع ملقا وبصورة خاصة مع مستوطنات الساحل الغربى المشهور بمناجم القصدير . وكانت مذبحه خانقوا السبب في نقل التجارة إلى كالا حيث ملتقى التجارة العربية والصينية ، كما كانت للعرب جاليات في الملايو وشمال سومطرة ( الزايج ) حيث كانوا يترددون على ميناء Barris وميناء Lambri <sup>(٥٩)</sup> . وكان للعرب جاليات في جزر النيكوبار <sup>(٦٠)</sup> . كما تاجروا مع سكان بورنيو <sup>(٦١)</sup> . وكانت لتجارهم أسواق في كوشين صيني <sup>(٦٢)</sup> . ومن الصين اندفع التجار العرب المسلمون شمالا إلى اليابان وكوريا التى وصفوها بكثرة الذهب وكانت هنالك جالية إسلامية <sup>(٦٣)</sup> .

### ٣ - العلاقات التجارية مع وسط آسيا :

امتدت الإمبراطورية العربية الإسلامية حتى حدود الصين شرقا . لهذا فقد تم فتح أسواق أواسط آسيا أمام التجار العرب المسلمين . وكانت التجارة تتبع الطريق الحريرى العظيم ( طريق خراسان ) الذى يمر من البحر المتوسط إلى بغداد وإلى سمرقند ثم يتفرع إلى فرعين أحدهما يتجه شمالا إلى خوارزم والآخر يؤدي إلى الصين . وكان لانتشار الإسلام بين أقوام أواسط آسيا أثره على قيام مستوطنات عربية في سمرقند وقندس ( فى أفغانستان ) ومناطق أخرى من أواسط آسيا <sup>(٦٤)</sup> .

وهكذا نجد بأن آسيا كانت مفتوحة أمام التجار والرحالة المسلمين برا وبحرا ، فنقل التجار معلوماتهم وكذلك الرحالة والجغرافيون . لذلك لا نستغرب إذا وجدنا أن الجغرافيين العرب عرفوا الكثير عن آسيا .

فقد وصف الجغرافيون العرب بحر خزر على أنه بحر مغلق ، كما تكلموا عن نهر الفولجا الذى كانوا يسمونه نهر ( اتل ) ووصفوا مجراه ومصبه فى بحر خزر ويذكر أبو الفداء فى هذا الصدد .

« حكى لى بعض التجار الذين ركبوا هذا البحر أنهم لما انتهوا فى الشمال إلى آخره تغير عليهم الماء المالح الصافى .. الخ »

كما تكلموا عن شعوب حوض الفولجا الأدنى ، ومنطقة بحر خزر وخاصة أن بعض تلك الشعوب قد اعتنقت الديانة الإسلامية ، وأقدم تسجيل جغرافى عن منطقة الفولجا الأدنى هو

ما ورد فى مذكرات ابن فضلان فقد تحدث عن بلاد الفولجا وشعبها واصفا بعض المظاهر الطبيعية والتقاليد الاجتماعية ، ولعله أول من تكلم عن ظاهرة قصر الليل والنهار فى تلك الجهات .

أما معلومات الجغرافيين العرب المسلمين عن أقاليم وسط آسيا وتركستان ( بلاد ما وراء النهر ) فكانت غزيرة خاصة أن بعض الجغرافيين كانوا من تلك المناطق كالبيرونى . ولقد شملت الدراسات الجغرافية عن آسيا الوسطى الطبوغرافية والمناخ والاقتصاد والمدن وتخطيطها وتطورها التاريخى إلى جانب المعلومات الانثروبولوجية .

أما عن شمال آسيا فإن البيرونى هو أول من سعى نهر أنجارا ، وتحدث عن شعوب إقليم بيبكال فى سيبيريا الشرقية . وكان العرب يطلقون على شمال آسيا اسم « بلاد الظلمة » ولقد تحدث ابن بطوطة عن أهم السلع التى كان السكان يتاجرون بها وشرح طريقتهم فى التجارة وهى الطريقة الصامتة .

أما معلومات الجغرافيين العرب عن الصين فهى غنية من جميع النواحي حيث وصل العرب إليها برا كما أبحروا إليها وساروا على امتداد الساحل الصينى شمالا حتى كوريا ( شيلا ) واطلقوا على بحر الصين اسم ( بحر صخى ) وتوغلوا فى داخل الصين وتكلموا عن زراعاتهم وصناعاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وحبهم للفنون وعلى الأخص الرسم .

أما الهند فكان الجغرافيون العرب يعرفونها جيدا ، ولقد تكلم الإدريسى عن طبقات المجتمع فى الهند :

١ - الساكهرية : وهم الأشراف ورجال الدين .

٢ - الكسترية .

٣ - السودرية الفلاحون وأصحاب الزراعات .

٤ - أصحاب المهن والصناعات .

٥ - السندالية .

أما البيرونى فقد قدم لنا عن الهند دراسة إقليمية ممتازة فقد درس الأوضاع الطبيعية لشبه القارة الهندية وتتبع ساحلها الغربى من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب وعدد أبرز الموانئ التى تقع عليه ، وذكر أهم الجزر جنوب الهند ووصف كشمير والمجرى المتعرج لنهر السند وتكلم عن جبال هممنت ( هيمالايا ) ثم أشار إلى جبل ميرود ( ربما قمة إفرست ) ،

ثم شرح سهل الهند الفسيح الواقع إلى الجنوب من جبال هملايا ، وفسر كونه عبارة عن مخلفات بحرية قديمة ويعتقد بأن وادى السند كان يوما ما قاعا للبحر ثم غطته الرواسب الفيضية بالتدريج ( سهل فيضى ) . ثم تكلم عن منابع أنهار الهند ومناخها بفصوله الأربعة والأمطار الموسمية .

كما تكلم عن مدن الهند والمسافات بينها بكل دقة . كما تكلم عن الانتاج الاقتصادى للهند من زراعة وصناعة .

وتكونت لدى الجغرافيين العرب معلومات قيمة عن جزر المحيط الهندى لاسيا جزيرة سرنديب . فقد ذكر أبو زيد السيرافى عنها :

« يدعونها الديبجاث وبجانب منها مغاص اللؤلؤ » .

ولقد وصف البيرونى هذه الجزيرة بدقة . وتكسب معلومات ابن بطوطة عن جزر الملديف بالذات أهمية خاصة ، لأنه أقام في تلك الجزر ما يتيف عن عام ونصف وخبر الحياة فيها عن قريب .

أما عن البلاد العربية وتركيا وإيران فقد حظيت بدراسات مفصلة ودقيقة .

### العلاقات التجارية مع أفريقيا :

كانت التجارة مع أفريقيا نشطة برا وبحرا . وكانت القوافل تعبر شبه جزيرة سيناء إلى مصر ومنها إلى شال أفريقيا ، أو عن طريق النيل إلى السودان أو عبر الصحراء الكبرى إلى غرب أفريقيا<sup>(٦٥)</sup> . وكان الخط البحرى صالحا للملاحة طول العام ولكن يوجد فيه قراصنة وعلى الأخص في جزيرة سقطرة عش القراصنة الهندو<sup>(٦٦)</sup> .

ولقد مرت التجارة مع القارة الأفريقية بعدة مراحل :

١ - بعد فتح مصر وشمال أفريقيا اندفع التجار العرب إلى جنوب الصحراء ، وأقاموا علاقات جيدة مع السودان ، ولقد وصلوا حتى السنغال والنيجر كما توغلوا في حوض النيل الأعلى .

٢ - يبدأ مع فتح المسلمين لجزيرة كمبالو Kampalu<sup>(٦٧)</sup> . في نهاية الحكم الأموى<sup>(٦٨)</sup> . ولقد أقيمت مستوطنات عربية إسلامية في مالندي ومباسا وموزمبيق والتي ربما أدت إلى الاستيلاء على الجزر الواقعة قريبا من الساحل<sup>(٦٩)</sup> ، حيث قام بعض المغامرين العرب في القرن العاشر بالاستيلاء على زنجبار والجزر الأخرى عند ساحل أفريقيا الشرقى . ولقد

تاجر العرب مع سكان الساحل الشرقى حتى سفالة جنوبا ( موزمبيق ) ، وكما يقول أحمد نفيس حتى ساحل الناتال الحديثة<sup>(٧٠)</sup> .

كما توغلوا في إقليم البجة إلى الشرق من Aswan وإلى العلاقى ( الإقليم الرئيسى لمناجم الذهب منذ زمن الفراعنة ) . وفى غرب أفريقيا كانت التجارة نشطة مع غانا حيث كانت قوافل الجمال تقطع الصحراء إليها ولكن كانت هنالك بعض الأخطار تحيط بهذه القوافل وبصورة خاصة العواصف الرملية<sup>(٧١)</sup> . وكان سكان غانة يحترمون العرب ويحبونهم كثيرا ، وكانوا مولعين بالتمر . وكانت هنالك علاقات تجارية نشطة مع بربر شمال أفريقيا ، وكانت هنالك مستوطنات عربية في سجلهاصة ، وأخرى على الساحل الشرقى الأفريقى في مقديشو وساحل الصومال<sup>(٧٢)</sup> . وكنتيجة هذه العلاقات التجارية النشطة مع أفريقيا وارتداد التجار العرب لمناطقها المختلفة أصبحت لدى الجغرافيين العرب معلومات غزيرة ودقيقة عن أفريقيا . فقد كانت معلومات الإدريسي عن جهات أفريقيا الداخلية لاسيا غينيا والنيجر والسنغال ذات أهمية بالغة ، فقد تحدث عن أنهارها وأهم مدنها وزراعتها وعاداتها ، كما تحدث عن إقليم السودان الشرقى وإقليم منابع النيل ، ودفع الإدريسي المنطقة المسكونة إلى جنوب خط الاستواء<sup>(٧٣)</sup> . كما عرض معلومات عن النيجر في الجزء الواقع أعلى تمبكتو ، وعن إقليم منابع النيل ومناطق كثيرة من السودان بدقة لا تنازع فيها . ولقد توصل البيرونى إلى معلومات قيمة عن أفريقيا الجنوبية وموزمبيق ( سفالة الزنج ) عن طريق التجار المسلمين .

وبناء على هذه المعلومات كان فى وسعه أن يلاحظ أنه فى خلال الصيف عندنا يسود الشتاء هناك . وبسط وجهة نظره باتصال البحر الجنوبى ( المحيط الهندى ) بالمحيط الأطلسى أى أن المياه تحيط بها من الجنوب<sup>(٧٤)</sup> . ولقد أورد المهلبى معلومات هامة عن السودان الشرقى . ولقد تضمنت رحلة ابن بطوطة معلومات اقتصادية وبشرية عظيمة الأهمية عن أفريقيا الغربية . ولقد شملت معلوماتهم ساحل أفريقيا الشرقى إلى خط عرض ٢٠ جنوبا ، فشملت ساحل موزمبيق الذى أطلقوا عليه اسم سفالة الزنج ، وانتشرت مناطق استيطانهم فى ممباسا وزنجبار وكلوا وملندة ، بل حتى جزيرة مدغشقر ( قمر أو قهار ) .

### العلاقات التجارية مع قارة أوروبا :

إن العلاقات بصورة عامة بين العرب المسلمين والأوروبيين أو بين العالم الإسلامى والعالم الأوروبى مرت بعدة مراحل :

أ - بدأت بفتح العرب لأسبانيا وجنوب فرنسا ، وجزء من إيطاليا وجميع جزير البحر المتوسط وقد تم فتح بارى في إيطاليا سنة ٨٤٨ م ، وكان انقسام المسلمين على أنفسهم هو الذى حال دون إكمال فتح إيطاليا . وفي عام ٨٧٠ م غدت نابولى محطة للتجارة الإسلامية وكذلك بالرمو . وفي سنة ٩٣٥ م استولى بعض المغامرين المسلمين على جنوا<sup>(٧٥)</sup> .

ب - تبادل السفارات : وأشهر سفارة كانت تلك بين هارون الرشيد وشارلمان وكذلك سفارة ابن فضلان<sup>(٧٦)</sup> . وكان لحرية التجارة التى تحققت من هذه السفارات أثرها على أن يصبح الفرنجة وسطاء تجاريين بين عرب أوروبا والعالم الإسلامى .

ج - انتشار الإسلام السلمى وإقامة مستوطنات إسلامية عربية لتشجيع التجارة .

د - الحروب الصليبية وانتقال الأوروبيين إلى قلب العالم الإسلامى .

وكان الوصول إلى أوروبا يتم برا وبحرا وذلك :

١ - من استراباد على بحر خزر وجورجيا إلى أراضى الخزر وهم أهم وسطاء تجاريين بين العرب ووسط وغرب أوروبا .

أو من Traxonia إلى Khiva على نهر Oxus إلى نهر الفولجا<sup>(٧٧)</sup> .

٢ - من البحر المتوسط إلى مدن إيطاليا وعن طريق الأديج إلى البو ، كانت البضائع تصل إلى قلب إيطاليا وعن طريق مضيق برنر Brenner ، والمضائق الأخرى يتم الوصول إلى المانيا ووسط أوروبا .

٣ - عن طريق أسبانيا إلى جنوب فرنسا أو وسطها وغربها .

٤ - إلى بريطانيا وإيرلندا عن طريق البحر .

وكان التجار العرب يقصدون باستمرار شرق أوروبا ، وكانت لهم تجارة نشطة مع البلغار والروس . ولقد تم العثور على نقود عباسية - من عهود متأخرة ( ذهبية وفضية ) فى مناطق كثيرة ، حيث وجدت بالقرب من بحيرة لادوجا وبالقرب من موسكو وفى منطقة حوض الفولجا الأوسط فى ياروسلاف Jaroslave وفالديمر وفى أستونيا<sup>(٧٨)</sup> .

وعملها وجدت نقود فى كل دول البلطيق من مخرج الأودر حتى خليج فنلندا والسويد والنرويج وأيسلندا وبريطانية<sup>(٧٩)</sup> . ولقد تم الكشف على أكثر من ١٣,٠٠٠ قطعة نقود ( فضية وذهبية ) فى حدود روسيا الحديثة ، وبصورة خاصة فى الحوض الأعلى والأوسط لنهر الفولجا ، وتعود هذه النقود إلى الفترة بين القرن السابع إلى بداية القرن السادس عشر<sup>(٨٠)</sup> .

ومن غير شك أن رحلة ابن فضلان إلى بلاد الصقالبة ووصفه الجالية الإسلامية في Alil ، والقبائل المختلفة في وسط وغرب آسيا وشرق أوروبا أثرت على وضع معلومات قيمة تحت تصرف الجغرافيين كما فتحت الطريق أمام الرحالة العرب للسفر إلى تلك المناطق<sup>(٨١)</sup> .

ولقد وصل التجار والرحالة العرب إلى إسكندناوة ، فقد ذكر البيروني أقطار الدول الإسكندنافية وأعطى معلومات عن البحر الجليدي إلى الشمال الشرقي من أوروبا<sup>(٨٢)</sup> . كما قدم إبراهيم الطرطوشي والقزويني وصفا لشمال وسط أوروبا وغربها<sup>(٨٣)</sup> . كما استعمل الفن Finns اساء عربية مثل سالم ، عمر ، سلمى ، ليلي .. الخ<sup>(٨٤)</sup> . ووصف ابن بطوطة وصفا دقيقا الزلاقات وطرق التعامل مع أهالي أراضى الظلام . ولقد حاول أن يزور تلك المناطق<sup>(٨٥)</sup> ، وكل هذه الشواهد تؤكد أن العرب قاموا برحلات تجارية مع الدول الإسكندنافية .

وكان الإسكندنافيون يصلون إلى البحر الأسود عن طريقين :

١ - الطريق الأول يسير مع النهاية الشمالية لشبه جزيرة إسكندناوة إلى البحر الأبيض (

White Sea ) .

٢ - الطريق الثاني يقطع بحر بلطيق إلى مدخل الدون ثم إلى الدنيبر وإلى القسطنطينية ، ومنذ القرن العاشر جابوا عباب الأزوف وعبر الدون والفولجا إلى بحر قزوين .

ولقد مرت العلاقات التجارية مع أوروبا بمرحلتين :

١ - من القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي عمل العرب كوسطاء بين الشرق الأقصى والهند من ناحية وأوروبا من ناحية ثانية حيث كان العرب يحملون البضائع من الصين والهند والشرق الأوسط إلى أسواق أوروبا ويحملون من أوروبا منتجاتها إلى الشرق الأوسط والهند والصين .

٢ - المرحلة الثانية بدأت مع الحروب الصليبية عندما بدأ الأوروبيون يفتشون عن أسواق تجارية ، ولقد أقام العرب علاقات تجارية طيبة مع مختلف الأقطار الأوربية .

١ - التجارة مع روسيا وبلاد القفجاق Al-Kapchak

إن النقود الفضية والذهبية الكثيرة التي تم العثور عليها في روسيا تحمل بين طياتها الدليل القاطع على عمق العلاقات التجارية بين العرب وروسيا . ولقد تكلم ابن خرداذبة عن التجار الروس الذين اعتبرهم سلافاً والذين كانوا يسرون مع الدون والفولجا إلى بحر

قزوين ، ثم يحملون جملهم ويأخذونها من جنوب بحر قزوين إلى بغداد . وكانت تجارتهم تتكون من فراء الثعالب السود والسيوف .. الخ<sup>(٨٦)</sup> .

أما الخزر في جنوب روسيا الذين يعيشون بين القفقاس والقوقاز ، فكانوا وسطاء تجاريين نشطين وكان خط تجارتهم نهر الفولجا<sup>(٨٧)</sup> . وعندما زار ابن بطوطة مدينة سارا (Sara) كان هنالك تجار من العراق وسوريا ومصر ومناطق أخرى يعيشون في أحياء معينة من المدينة<sup>(٨٨)</sup> .

## ٢ - العلاقات التجارية مع البلغار :

كانت العلاقات التجارية مع البلغار قوية ونشطة واعتاد المسلمون الذهاب إلى Bulgar ، ولقد استمرت التجارة نشطة ففي سنة ١٣٣٧ ذكر أن شمس الدين الكربلاني ذهب إلى البلغار واشترى العبيد من عوائلهم<sup>(٨٩)</sup> .

## العلاقات التجارية مع دول البحر المتوسط الأوربية :

كانت العلاقات التجارية مع دول البحر المتوسط الأوربية نشطة ، وكان العرب يعرفون البحر المتوسط جيدا وقد حرروا جميع جزره .

## ولقد أخذت التجارة مرحلتين :

- ١ - عندما فتح المسلمون العرب أسبانيا ، وجزءا من إيطاليا وجزر البحر المتوسط .
- ٢ - تبادل السفارات التي ساعدت على انتشار التجارة ، ولقد وجدت مستوطنات عربية إسلامية منتشرة على سواحل البحر المتوسط .

## أ - العلاقات التجارية مع بريطانيا :

ترجع العلاقات التجارية مع أوروبا إلى القرن السابع الميلادي ، وربما قبل ذلك ولقد امتدت هذه التجارة حتى بريطانيا . وكانت هنالك اتصالات رسمية ووفود وسفارات متبادلة<sup>(٩٠)</sup> .

كان من نتيجة التجارة والرحلة أن أصبح لدى الجغرافيين العرب والمسلمين صورة واضحة عن أوروبا . فقد أشار البيروني والمسعودي إلى شمال أوروبا على أن تلك المناطق يسودها البرد الشديد بحيث تتعذر الزراعة فيها ، وأما سكانها البحريون فيقتاتون على السمك . ولقد

حدد البيروني بصورة صحيحة موقع المحيط الشمالى الذى يلتف حول شبه جزيرة إسكندناوه كما أطلق على سكانها اسم الورك وأشار إلى براعتهم فى صناعة السيوف الحديدية . وقد سمع البيروني بقصة ذلك الملاح الذى ضرب فى الأصقاع الشمالية فبلغ بقعة لا تغرب عنها الشمس صيفا ، ويورد لنا تفاصيل فريدة عن صناعة السيوف لدى الفرنجة والروس . وأمدنا البيروني بمعلومات دقيقة ذات قيمة علمية عن بحر الثلج Ice- Sea فى الشمال الشرقى من أوروبا فكان ذلك تمهيدا لارتداد التجار العرب لتلك الأصقاع البعيدة .

أما الإدريسي فقد مد الأرض المعمورة فى شمال أوروبا حتى فنلندة ، وشمال روسيا وبلاد اللال ووضعها فى الإقليم السابع الذى يمتد عمليا حتى درجة ٧٢ شمالا . كما تكلم الإدريسي عن صقلية وأسبانيا وإيطاليا ، وأعطانا معلومات قيمة لأنها تعتمد على الملاحظة الشخصية للمؤلف ، كما يدل وصفه لأوروبا الغربية : فرنسا وألمانيا واسكتلندة ، وإيرلندة وسواحل بحر الشمال على المقدرة والمهارة ، كما قدم لنا معلومات عن بولندة وروسيا ولكن بدقة أقل ، ولو أن ما قدمه عنها لا يخلو من معلومات هامة . ولقد ظفرت رومانيا وسائر دول البلقان بتفصيل كبير ربما مرده إلى الحروب الصليبية ونفو العلاقات التجارية بين الغرب الفرنجى والشرق العربى الإسلامى .

ولقد أشار الجغرافيون المسلمون إلى أن النهار يطول فى جهات شمال القارة حتى يتجاوز ( ٢١ ) ساعة ، بينما تنعكس الآية فى فصل الشتاء . وتكلم القزوينى فى كتابه ( أنار البلاد وأخبار العباد ) عن بلاد ( ويسو ) حيث قال : إنها بلاد وراء بلاد البلغار بينهما مسيرة ٣ أشهر ، ذكروا أن النهار يطول عندهم حتى لا يروا شيئا من الظلمة ، ثم يطول الليل حتى لا يروا شيئا من الضوء ، وأهل بلغار يحملون إليها بضائعهم للتجارة . وقالوا عن بلاد ( يورا ) :

« إنها بلاد بالقرب من بحر الظلمات وإن النهار طويل جدا فى الصيف حتى إن الشمس لا تغيب عنهم مقدار أربعين يوما ، وفى الشتاء ليهم طويل جدا حتى تغيب الشمس عنهم مقدار ٤٠ يوما » .

ولقد توغل العرب شمالا حتى قرب المنطقة القطبية الشمالية وتبادلوا البضائع مع سكان هذه المناطق الجليدية .

وهكذا ساهمت التجارة والتجار والرحالة فى إغناء معلومات الجغرافيين مساهمة كبيرة ،



ولعبت دورا هاما في تطوير المعرفة الجغرافية ، بل إن البعض من الجغرافيين كان يمارس التجارة فضلا عن هوايته العلمية ولقد أفادت التجارة من الجغرافية كثيرا إذ بدأت الجغرافية تدرس المسالك والطرق والمسافات والبرود لفائدتها للتجار والرحالين ، كما قدمت معلومات قيمة عن المدن المختلفة والمسافات بينها والموانئ والبحار والمخاطر التى تكتنفها . كذلك قدمت الجغرافية معلومات قيمة عن الإنتاج الزراعى والصناعى للأقطار المختلفة والخامات الأولية المتوفرة فيها ليفيد منها التجار . كما فتحت التجارة آفاقا جديدة وواسعة أمام الجغرافى الذى طرق مواضيع ومناطق لم يسبق أن طرقها غيره من الجغرافيين السابقين من الأمم الأخرى .

ولقد تكلم الجغرافيون عن العادات والتقاليد والحرف والأديان والطبقات الاجتماعية والمأكل والملبس ، كما درسوا علاقة البيئة الطبيعية بالإنسان . فقد تكلم ابن خلدون في مقدمته على أثر الحرارة على أخلاق البشر وبين ارتباط بنائهم الفسيولوجى بالأقاليم المناخية وأثر الخصب والجوع على سلوك الإنسان . كما تكلموا عن جغرافية المدن والخطط وحفلت أبحاثهم بالمعلومات الطبوغرافية والاقتصادية والبشرية . وقد أورد ابن خلدون في مقدمته دراسة فذة عن نشأة المدن وتطورها . كما تناول الجغرافيون العرب النواحي المناخية والهيدرولوجية والجيومورفولوجية كما قدموا دراسات قيمة عن توزيع البحار والبحيرات والأنهار والنهيرات .. الخ ويمكن القول : إن العرب طرقوا جميع الفروع الجغرافية فبعضها مسوه مسا خفيفا ، والبعض الآخر قدموا فيه معلومات دقيقة وذات فائدة عظيمة .



## الحواشى

- ( ١ ) أطلق العرب على الجغرافية الكلمة اليونانية عدة اسماء فسميت بعلم الأطوال والأعراض وعلم تقويم البلدان ( وصف البلدان ) وأما الجغرافية الوصفية فسميت « بعلم المسالك والممالك » أو علم البرود وفي بعض الأحيان سميت « علم عجائب الدنيا » كما في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى .
- ( ٢ ) وردت إشارة عند المسعودى تفيد أنه رأى مراكب من النوع الذى يختر عباب المحيط الهندى فى البحر المتوسط . هذه الإشارة يمكن الإفادة منها على أن هذه البواخر دارت حول رأس الرجاء الصالح وسارت مع الساحل الغربى لأفريقيا حتى مضيق جبل طارق ثم دخلت إلى البحر المتوسط .
- ( ٣ ) عبد العليم ، الدكتور أنور « ابن ماجد الملاح » . ص ٣٣
- ( ٤ ) أشار المرحوم عباس محمود العقاد « أن العرب سبقوا سائر الأمم إلى معرفة تيار الخليج الدافى وخواصه وحركته من المكسيك إلى إيرلندة . فكانوا يركبونه من موطن إلى موطن بحيث كانوا يدهسون سكان جزر المانس ( أى جزر القصدير ) وأهالى جزر إيرلندة . فكانوا إذا ظعنوا إلى أنحاء المكسيك مكث بعضهم وعاد القليلون منهم إلى بلادهم . ونعرف أنهم كانوا يقيمون فى الديار التى عرفت بعد ذلك بالمكسيك من اسماء الحيوانات التى سموها بها ، وهى أسام تعرف بها إلى اليوم لكن لا يفقه أهلها معانيها ولا علماء الغرب الذين اتخذوها . »
- « أثر العرب فى الحضارة الأوربية » ص ٥٤ .
- وفى مقال للدكتور شاكر مصطفى أشار إلى أن العرب هم المكتشفون الحقيقيون للقارة الأمريكية وصاحب النظرية الأستاذ Jeffrey أستاذ الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى جامعة Witwatersrand فى ترانسفال ، وهو يرى بأن هذا الكشف قد تم حوالى سنة الف للميلاد أو بعد ذلك بقليل أى قبل كولبوس بخمسة قرون ، ويورد الدكتور شاكر الأدلة التالية .
- أ - وجود جماجم ترتبط بالمجموعة الهامية فى بعض كهوف جزر بهاما وتعود إلى أكثر من ١٠ قرون .
- ب - وجود البطاطا فى جزر البحر الكاريبى حين وصول كولبوس وهى زراعة أفريقية الأصل .
- ج - وجود زراعة الذرة واليوكا فى أفريقيا قبل مولد كولبوس بكثير وهما زراعتان أمريكيتان معروفتان . وإن القلقشندي الذى كتب صبح الأعشى قبل قرن من كولبوس يذكر عن أهل بلاد تكرر قوله « وعندهم الذرة وهى أكثر حبوبهم » .
- د - لقد أثبت كتاب عصر الاكتشافات أمثال ( ارفنج ) و ( بدروماريتير ) من وجود قبائل من المغاربة السمر فى بعض البقاع المكتشفة ( مثل منطقة كاراكاس ) وقد وصفوهم بأنهم متكبرون قساة .
- هـ - ما ذكره فاسكودى بلباو مكتشف المحيط الهادى ( قبل ماجلان ) عبر برزخ داريان - بأنما من أنه وجد سمة شيوخ القبائل يعتمرون العباءم ويرتدون الجلابيب الواسعة من النسيج القطنى الأبيض على النمذج العربى .
- و - فى كولومبيا شعب أسمر فاتح السمرة ولنسائه جمال يحاكى جمال العروق البيضاء وهو يزرع البطاطا وينسج القطن ويعتقد الدكتور شاكر مصطفى أن محمد بن فوسلطان المنطقة الإسلامية بين جنوب المغرب حتى

السنغال ومالي والتي عرف القدماء بعضها باسم شنقيط وتكرور ومالي هو الذي اكتشف أمريكا . إذ جهز ألفي سفينة ألفاً للرجال وألفاً للأزواد وسار بنفسه .

« من اكتشف أمريكا » ص ١٦ - ٢١ جامعة الكويت والمجتمع ١٩٦٨/٦٧ .

ولقد أشار الأب أنستاس ماري الكرمل إلى الألف واللام الموجودة في اللهجات الأمريكية وهي عربية . كذلك عثر على بعض المعادن المخلوطة بنسب معينة لا توجد إلا في غرب أفريقيا بنفس النسبة . كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن العرب وصلوا أمريكا قبل كريستوف كولبس بمدة طويلة .

( ٥ ) طلب المحجاج أن تصور له الديلم سهلها وجبالها وعقاربها وغياضها فصورت له .

( ٦ ) بعث عمر بن عبد العزيز إلى واليه في الأندلس السمع بن مالك الخولاني بأن يخمس ما غلب عليه من أرضها وعقاربها ويكتب إليه بصفة الأندلس وأنهاها .

( ٧ ) فارسي الأصل بغدادي النشأة توفي حوالي ٣٠٠ للهجرة وقد تولى إدارة البريد في منطقة الجبال ، ووضع كتاب المسالك والممالك في أواسط القرن التاسع الميلادي ، وكان وضع الكتاب بعد تكليف من الخليفة المعتمد .

( ٨ ) سورة الملك الآية ١٥ .

( ٩ ) سورة الزمر الآية ٩ .

( ١٠ ) خصيباك ، دكتور شاكر في الجغرافية العربية : ص ١٠٥ .

أبودلف مسعر بن المهلهل الخزرجي الينبي . ولد في ينبع بجوار المدينة عاش في بلاد الأمير الساماني نصر بن أحمد بن إسماعيل ما بين ٣٠١ - ٣٣١ هـ ( ٩١٣ - ٩٤٢ ) روى أن مبعوثاً هندياً من قبل الأمير الهندي كلا تلي بن شخباز قصد بلاط الأمير الساماني في سفارة ودية فلما عادت البعثة رافقها أبودلف الذي زار كشمير وكابل وسجستان وساحل ملبار وكرماندل .

أحمد ، نفيس : جهود المسلمين في الجغرافية ص ٥١ - ٥٢ .

( ١١ ) سورة النساء الآية ٧٨ .

( ١٢ ) عبد العليم الدكتور أنور : ابن ماجد الملاح : ص ٣٠ .

( ١٣ ) خصيباك - دكتور شاكر نفس المصدر : ص ٢٣٩ .

( ١٤ ) للبدو معين لا ينضب من تجاربهم في مجال الجغرافية الفلكية ولترحالهم في الليل والاهتداء بالقمر والنجوم . فاستطاعوا توقيت ساعات الليل بفضل طلوعها ومغيبها وحددوا عدد منازل القمر الـ ٢٨ منزلاً وأعطوا لكل واحد اسماً عربياً وعرفوا حوالي ٢٥٠ نجماً أطلقوا عليها أسماء عربية جمعها الفلكي عبد الرحمن الصوفي المتوفى سنة ٣٧٦ هـ / ٩٧٦ م .

( ١٥ ) راجع صروف ، الدكتور يعقوب : بسائط علم الفلك .

كانت بعض جوانب الفلك يطالب المسلم بمعرفتها كتعيين أوقات الصلاة واتجاه المسلمين إلى الكعبة وصلاة الخسوف التي يقتضى معرفتها معرفة حركات النيرين ( الشمس والقمر ) وكذلك هلال رمضان ... الخ .

( ١٦ ) سورة قريش الآية ٢/١ .

( ١٧ ) Al- Feel, The Historical Geography of Iraq : Vol. ii P. 50

( ١٨ ) « صبح الأعشى » ح<sup>٢</sup> ص ٩٣ .

( ١٩ ) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة : ص ٥٥ ، ١٦٠ .

حتى فيليب : تاريخ العرب : ح<sup>٢</sup> ص ٣٧٩ .

- (٢٠) ابن الفوطى : نفس المصدر ص ٤٣٠ .
- (٢١) المقرئى : كتاب السلوك فى معرفة الملوك : ج ٢ ص ٤٤٦ .
- العزائى المحامى عباس « تاريخ العراق بين احتلالين » : ج ١ ص ٢٦٠ .
- (٢٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ص ١٥٣ - ١٥٤ .
- (٢٣) Beazley: The Dawn of Modern geography: Vol. Ip. 409 Al- Feel, op. cit: Vol. ii p. 65
- (٢٤) الدورى دكتور عبد العزيز : تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى ص ١٦٢ .
- (٢٥) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة : ص ١١٠ - ١١١ .
- (٢٦) Broomhall : Islam in china : p. q
- (٢٧) Ibid. p.8
- (٢٨) ابن رسته « الأعلام النفيسة : ص ١٤٠ - ١٤١ ، يعقوبى : فتوح البلدان : ص ٥٤٠ .
- (٢٩) ابن خرداذبة : نفس المصدر : ص ١٥٤ Beazley, vol. I. P. 417. Broomhall P. 47
- (٣٠) زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى : ج ١ ص ٢٩٨ ، عواد : المآصر فى بلاد الروم والإسلام : ص ١٣ Al- Feel, op. : vol ii p. 79
- (٣١) البيرونى : كتاب الهند . ص ٩٦ ، خصباك . « فى الجغرافية العربية » : ص ٢٠١ - ٢٠٣ .
- (٣٢) الدورى ، دكتور عبد العزيز . نفس المصدر : ص ١٤٤ الفيل العلاقات التجارية بين العراق والصين فى القرون الوسطى ص ١ .
- (٣٣) Arnold, Legacy of Islam: p. 96.
- (٣٤) أحمد نفيس : جهود المسلمين فى الجغرافية ص ٦٥ .
- (٣٥) Arnold: Legacy of islam: p. 95
- Broomhall. op: cit. p. 8
- استنادا إلى ابن بطوطة ( ص ٢٨٨ ) أن المسلمين كانوا يعيشون فى مدينة زيتون والمدن الأخرى فى أحياء خاصة بهم .
- (٣٦) نفس المصدر : ص ٢٩٠ .
- (٣٧) Broomhall. pp. 13- 14. Beazley. Vol. Ip. 348
- (٣٨) Ibid. P.8
- (٣٩) حتى فيليب : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٤٢١ - ٤٢٢ .
- (٤٠) Broomhall. P. 25
- Arnold. P. 95
- (٤١) الدورى ص ١٦١ Arnold. P. 95 Beazley vol. IP. 417.
- (٤٢) Chesney: The expedition For the surveof the River Euphrates Ond Tigris: Vol. P. 584
- (٤٣) المسعودى ج ١ ص ٣٠٢ - ٣٧ الدورى ص ١٦١ Beazley. Vol. Ip. 398
- المسعودى ج ١ ص ٣٠٢ - ٣٠٧ Beazley. Vol. Ip 398
- (٤٤) الفيل ص ٤ - ٥ Beazley. Vol. II p. 444 (Foot note)

- (٤٥) الدورى ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ المسعودى ج ١ ص ٣٤٧ - ٣٤٩ Beazley. Vol. I p. 401
- (٤٦) الدورى ص ١٦١ .
- (٤٧) المسعودى ج ١ ص ٣٤٧ - ٣٤٩ الدورى ص ١٥٠ Beazley. Vol. Ip 401
- (٤٨) Spies, Otto: An Arab account of India in the 14 th Century: p. 3
- (٤٩) Beazley. Vol. Ip. 401
- (٥٠) Spies. pp. 58- 59
- (٥١) ميناء بحرى على بعد ٢٤ ميلاً جنوب غرب Tatta الحالية .
- الدورى ص ١٤٥ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٣٤٩ القلقشندى ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٦٤ .
- (٥٢) كانت على بعد ( ٥ ) أميال غرب بهمان آباد .
- (٥٣) المسعودى ج ١ ص ٣٧٥ ، ٣٧٨ الدورى ص ١٤٥ ، ابن بطوطة ص ١٨٤ ، ابن حوقل ص ٣٢٢ . ابن رسته ص ١٣٧ .
- (٥٤) صيمور تقع بالقرب من بباى الحالية . المسعودى ج ٢ ص ٨٥ .
- (٥٥) الدورى ص ١٤٦ Beazley. vol. Ip 398
- (٥٦) فى القرن التاسع الميلادى اعتنق حاكمها الإسلام وفتح دولته للتجار المسلمين Beazley vol. I pp. 398-399
- (٥٧) يمكن أن Hill تمثل Nileshtar ابن بطوطة ص ٢٣٤ .
- (٥٨) اندثرت كلتا المدينتين بعد أن أنشأ البرتغاليون المحطات التجارية فى القرن السادس عشر الميلادى .
- (٥٩) آدم متز ج ٢ ص ٢٦٣ ، الدورى ص ١٤٦ - ١٥٠ Beazley. Vol. Ip 234
- (٦٠) الدورى ص ١٥٠ .
- (٦١) آدم متز ج ٢ ص ٢٦٣ .
- (٦٢) Beazley. Vol. Ip 398
- (٦٣) آدم متز ج ٢ ص ٣٢٢ ، Arnold p 95 Beazley. Vol I pp 35- 424
- (٦٤) ابن خرداذبة « المسالك والممالك » ص ١٧٨ .
- مسكويه : تجارب الأمم ج ٣ ص ٦٤ .
- أحمد نفيس : ص ١٣ .
- (٦٥) الفيل . نفس المصدر ج ٢ ص ١٠٢ .
- (٦٦) الدورى ص ١٦١ - ١٦٢ Beazley. Vol. Ip 400
- (٦٧) أحمد نفيس ص ١٣ .
- (٦٨) يعتقد أن كمالو إما مدغشقر أو زنجبار أو ببا .
- (٦٩) تم فتح جزيرة كمالو من قبل الأمويين الفارين من الحكم العباسى .
- (٧٠) نفس المصدر ص ١٢ .
- سافر المسعودى إلى زنجبار ولاحظ بأن الحكام كانوا مسلمين : نفس المصدر ج ٣ ص ٣١ .
- (٧١) الفيل ج ٢ ص ١٠٤ Beazley vol. II p 260
- Arnold. P. 101
- (٧٢) Beazley. Vol. III P. 147

(٧٣) كان الاعتقاد السائد عند اليونان والرومان حتى عند بعض الجغرافيين العرب أن منطقة خط الاستواء غير مسكونة نظرا لشدة الحرارة فيها وتعادم الشمس عليها مرتين على الرغم من أن العرب تاجروا مع سكانها من الزنوج .

(٧٤) نفيس أحمد ص ٣٤ - ٣٥ .

(٧٥) Beazley. Vol. ip. 168, 204 vol. II p. 418

الجزر التي فتحها العرب :

قبرص - رودس - كريت - صقلية - سردينيا - كورسيكا - ميورقا - ماجورقا - مالطة .

الفيل ج ٢ ص ١١٢ حاشية .

(٧٦) في سنة ٩٢١ م أرسل الخليفة المقتدر بالله سفارة إلى البلغار في الفلجا من الذين دخلوا الإسلام حديثا . ولقد كتب ابن فضلان هذه الرحلة حيث ذكر ما وجد في أراضي الأتراك والحزر والروس والصقالبة والأقوام الأخرى ابن رسته ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

Beazley vol. I P. 435

Blake and Frye, Notes on the Risala of Ibn Fadlan. P. Q

(٧٧) Arnold p. 100, Beazley vol. ip. 402

(٧٨) الفيل في ٢ ص ١١٥ .

(٧٩) الدوري ص ١٥٣ ، حتى فيليب ص ٣ - ٤ Kirk, 'A short History of the Middle East From the rise of Islam to modern times', P. 28

Beazley. vol II p. 462, Volipp. 200 — 201 Arnold. p. p. 100- 101

(٨٠) الدوري ص ١٥٣ Beazley vol. II p. 462 Kirk p. 28,

(٨١) Arnold p. 100

(٨٢) نفيس أحمد ص ١١ Blake pp. Q, 19

(٨٣) Lewis, Bernard, the Moslem Discovery of Europe p. 410

(٨٤) الفيل ج ٢ ص ١١٧ .

(٨٥) نفس المصدر : ١٥٠ .

(٨٦) ص ١٥٤ .

(٨٧) الفيل ج ٢ ص ١٢٣ .

(٨٨) تقع بالقرب من مدينة تساريف (Tsarev) الحالية ٢٢٥ ميلا فوق استرخان . ابن بطوطة ص ٣٥٨ .

(٨٩) الفيل ج ٢ ص ١٢٥ .

(٩٠) Howorth, History of the Mongols From the 9 th Century A.D. to the 19 th Century, vol III. p.

353

في عام ١٢٧٤ تسلم أباقا خان ( الأتخاني في العراق ) رسالة من الملك ادوارد البريطاني .



## المصادر الأفرنجية

- Al - Feel, Dr. M. R: The Historical Geography of Iraq between the Mongolian  
and otto man Conquests 1258 - 1534  
Vol. ii  
Baghdad 1967
- Arnold, Sir Thomas: The Legacy of Islam:  
oxford 1931
- Beazley. C. Raymond: The Dawn of Modern  
Geography:  
3 Vols.  
London 1897
- Broomhail, Marshal: Islam in china:  
London MCMX
- Chesney, Lt. Col: The expedition For the Survey of  
the rivers Euphrates and Tigris 2  
Vols. London 1938.
- Spies, Otto: Ar Arab account of India in the 14 th  
century:  
Stuttgart 1936.



## المصادر العربية

- ١ - ابن بطوطة : رحلات في آسيا وأفريقيا ١٣٢٥ - ١٣٥٢  
ترجمة Gipp  
London 1929
- ٢ - ابن جبير : رحلة ابن جبير :  
القاهرة ١٩٠٨ .
- ٣ - ابن حوقل : صورة الأرض : ١٩٣٨
- ٤ - ابن خرداذبة : كتاب المسالك والممالك :  
ليدن ١٣٠٦ هـ .
- ٥ - ابن رسته : كتاب الأعلاق النفسية :  
ليدن ١٨٩١ م .
- ٦ - ابن سعيد المغربي : كتاب عجائب الأقاليم السبعة :  
« جغرافية ابن سعيد المغربي » .
- ٧ - ابن الفوطي : الحوادث الجامعة :  
بغداد ١٣٥١ هـ .
- ٨ - أبو الفداء : تقويم البلدان :  
باريس ١٨٤٠ .
- ٩ - أحمد نفيس : جهود المسلمين في الجغرافية : القاهرة .  
ترجمة : فتحى عثمان .  
مراجعة : على أدهم .
- ١٠ - آدم متز : نهضة الإسلام : القاهرة ١٩٤١ .
- ١١ - الإدريسي : كتاب نزهة المشتاق :  
باريس ١٨٤٠ .



- ١٢ - البكرى ، الأندلس ، أبو عبيد الله : كتاب معجم ما استعجم :  
القاهرة ١٩٤٥
- ١٣ - البلاذرى : كتاب فتوح البلدان .
- ١٤ - الإصطخرى : كتاب الأقاليم : ١٨٦٦ .
- كتاب المسالك والممالك : القاهرة ١٩٦١ .
- ١٥ - التوانسى ، أبو الفتوح محمد : ياقوت الحموى :  
القاهرة ١٩٧١ .
- ١٦ - الحموى ، ياقوت : معجم البلدان : لبيزج ١٨٦٦ .
- ١٧ - الدورى ، دكتور عبد العزيز : تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى :  
بغداد ١٩٤٧ .
- ١٨ - العزاوى ، المحامى عباس : تاريخ العراق بين احتلالين ، بغداد ١٩٣٦ - ١٩٤٩ .
- ١٩ - العقاد ، عباس محمود : أثر العرب فى الحضارة الأوربية : القاهرة .
- ٢٠ - الصيحي ، محمد ابراهيم : العلوم عند العرب : القاهرة .
- ٢١ - الفيل ، دكتور محمد رشيد : العلاقات التجارية بين العراق والصين فى القرون  
الوسطى : بغداد ١٩٦٤ .
- ٢٢ - القزوينى : كتاب آثار البلاد وأخبار العباد : جوتنجن ١٩٤٨
- كتاب عجائب المخلوقات : جوتنجن ١٩٤٩ .
- ٢٣ - القلقشندى : صبح الأعشى :  
القاهرة ١٩١٣ .
- ٢٤ - المسعودى : مروج الذهب : باريس  
التنبيه والإشراف :  
ليسدن ١٨٩٣ .
- ٢٥ - المقدسى : كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم :  
ليسدن ١٨٧٧ .
- ٢٦ - النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب :  
القاهرة ١٩٢٣

- ٢٧ - الهرمزي ، بزرگ بن شهريار : كتاب الهند برها وبحرها وجزائرها :  
ليدن ١٨٨٣ - ١٨٨٦ .
- ٢٨ - اليعقوبي : كتاب البلدان :  
ليدن ١٨٩١ .
- ٢٩ - بارتولد ، ف : تاريخ الحضارة الإسلامية :  
القاهرة .. ترجمة حمزة طاهر .
- ٣٠ - جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي :  
القاهرة ١٩٠٢ .
- ٣١ - حوارنى ، جورج فضلو : العرب والملاحة في المحيط الهندى :  
القاهرة : ترجمة : الدكتور السيد يعقوب بكر .
- ٣٢ - خصباك الدكتور شاكر : في الجغرافية العربية :  
بغداد ١٩٧٥ .
- ٣٣ - ديلاسى أوليرى : الفكر العربى ومكانه فى التاريخ :  
القاهرة ١٩٦١ .
- ترجمة : دكتور تمام حسان  
مراجعة : دكتور محمد مصطفى حلمى .
- ٣٤ - عبد العليم ، دكتور أنور : ابن ماجد الملاح :  
الإسكندرية ١٩٦٦ م .
- ٣٥ - عواد ، ميخائيل : المآصر فى بلاد الروم والإسلام  
بغداد ١٩٤٨ .
- ٣٦ - فيليب حتى : تاريخ العرب :  
بيروت ١٩٥٣ .
- ٣٧ - كراتشكوفسكى ، اغناطيوس : تاريخ الأدب الجغرافى العربى :  
القاهرة ١٩٦١
- ترجمة : صلاح الدين هاشم .
- ٣٨ - محمد حسن ، صبرى : الجغرافيون العرب : الجزء الأول  
النجف - العراق ١٩٥٩ .

- ٣٩ - مسكويه : تجارب الأمم :  
أوكسفورد ١٩٢٠ .
- ٤٠ - مظهر جلال : مآثر العرب على الحضارة الأوربية :  
القاهرة ١٩٦٠ .
- ٤١ - ناصر خسرو علوى : سفرنامه : القاهرة ١٩٤٥  
ترجمة : الدكتور يحيى الخشاب .

